سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

أربعون فائدة

من

رحلة الهند

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

أُلقيت في جلسة عابرة سنة ١٤٢٣

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

مقدمة: الحديث عن الرحلات له منهجان:

المنهج الأول: منهج يحرص علىٰ بيان وجوه الاستفادة مع عدم التعرُّض إلىٰ الحديث عن النفس .

المنهج الثاني: منهج مَن يُغلّب ذكر قصَّته في الرحلة.

الفائدة الأولى: من أبواب التوفيق للعبد أن يفتح الله ﷻ له الفهم في النية.

الفائدة الثانية: لكل شيء سلاح.

الفائدة الثالثة: إياك والإخلاد إلىٰ كلام الناس في محلٍّ أينما كان أنه لا يوجد علماء.

الفائدة الرابعة: من أعظم ما ينتفع به الإنسان التفرد بالنفس.

الفائدة الخامسة: استجزاء بركة العلم، ولاسيما السنة.

الفائدة السادسة: مما ينبغي أن يَلتفت إليه المرء تقويمُ نفسه بإمساكها الشظف وضِيق العيش.

الفائدة السابعة: من أعظم توفيق الله للعبد؛ حفظه لوقته وعمارته له بما يعود عليه بالنفع.

الفائدة الثامنة: يتجلىٰ للإنسان في أسفاره أكثر؛ فضل التدبير والإعداد الحسن ورعاية الحال.

الفائدة التاسعة: ينبغي للمرتحل وطالب العلم خاصة أن يوسع دائرة الاستفادة ،

الفائدة العاشرة: من منفعة الرحلة معرفة أقدار العلماء،

الفائدة الحادية عشرة: من منفعة الرحلة في العلم وصل حبل المعرفة بين أهل العلم،

الفائدة الثانية عشرة: من أشرف السفارات السفارة الدينية.

الفائدة الثالثة عشرة: خطورة تأثير العمل الدعوي الذي يسمىٰ بالحركي علىٰ عزل العلماء.

الفائدة الرابعة عشرة: من أعظم البلاء الذي يُكوىٰ به المصلحون: التفاتهم إلىٰ التَّجميع والتلميع

الفائدة الخامسة عشرة: سوء أثر التثاقل وعدم القيام بالبلاغ.

الفائدة السادسة عشرة: شهود نعمة التوحيد.

الفائدة السابعة عشرة: أعظم سوءة للأمة جهلُها بدينها، فإن أثر هٰذا عليها وخيم.

الفائدة الثامنة عشرة: يشهد الإنسان في رحلاته أهمية العمل الخيري التطوعي.

الفائدة التاسعة عشرة: أثر لزوم الأناة وعدم العجلة في العمل الخيري.

الفائدة العشرون: الوقوف علىٰ تواضع العلماء.

الفائدة الحادية والعشرين: من أعظم منفعة الطالب أن يتلقىٰ عن الأكابر.

الفائدة الثانية والعشرين: فضل الله ﷻ علىٰ الفارّين إليه.

الفائدة الثالثة والعشرون: الصبر علىٰ طلب العلم.

الفائدة الرابعة والعشرون: الأخذ عن أهل الحديث وغيرهم.

الفائدة الخامسة والعشرون: تنوع العلوم والمعارف.

الفائدة السادسة والعشرون: إمكان بلوغ المأمول في العلم.

الفائدة السابعة والعشرون: العلم لا يضره الفقر.

الفائدة الثامنة والعشرون: العالم مهما كان فقيرا، فإنه ينبغي أن يكون عزيزًا.

الفائدة التاسعة والعشرون: من أعظم أخلاق طالب العلم تعظيمه لشيخه في طاعته.

الفائدة الثلاثون: إن للأمة كنوزا هي اليوم متفرقة، وهي أحوج إلىٰ من يستخرجها.

الفائدة الحادية والثلاثون: من أعظم ما يفيد الشيخ تلميذه: صبره في العلم.

الفائدة الثانية والثلاثون: من أعظم منن علىٰ هٰذه الأمة أن الله تكفل بحفظ العلم.

الفائدة الثالثة والثلاثون: ضعف همم أهل العصر في العلم

الفائدة الرابعة والثلاثون: نعمة التوفيق للولد الصالح.

الفائدة الخامسة والثلاثون: الحاجة إلىٰ تقييد العلم.

الفائدة السادسة والثلاثون: أهمية حفظ هٰذه المقيدات

المسألة السابعة والثلاثون: وجوب الفرار من العصبية.

الفائدة الثامنة والثلاثون: محنة المصارمة بين المسلمين دعاة وعلماء.

الفائدة التاسعة والثلاثين: معرفة نظرة الهنود إلىٰ العرب.

الفائدة الأربعون: الغنائم كثيرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة]

[الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله] وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فإن العلم رحمٌ بين أهله، وإنما تعظم منفعة الإنسان بعلمه إذا كان باذلًا له، وإن من أبواب الإفادة بالعلم: خبر الرَّحَلات، وقد كان أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ لهم مقيَّدات مشهورة؛ حتىٰ إن كثيرا من درر الفوائد وغُررها لا توجد إلا في مثل هٰذه الرحلات، فمَن طالع مثلا «ملء العَيْبة» أو «رحلة الوَلاتي» أو «رحلة محمد الأمين الشنقيطي» رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فإنه يقف علىٰ طَرفٍ نادر من درر الفوائد وغُررها.

ولذلك ينبغي أن يكون من عناية طالب العلم التفاتُه إلىٰ كتب الرحلات، والمقصود بها: الرحلات التي دوّنها العلماء، وأمَّا الرحلات التي كتبها الأخباريون، فإنها دونها بكثير، وإن كانت قد تتضمَّن طرفًا من الفوائد، فإن الرحلات التي دوّنها ابن بطوطة وابن جُبَيْر وأشباههم هي دون تلك الرحلات التي دوّنها مَن سبق ذكره من العلماء.

وعند تدوين الرحلات أو الحديث عنها: فإن الناس لهم منهجان اثنان:

أمَّا المنهج الأول: منهج يحرص علىٰ بيان وجوه الاستفادة مع عدم التعرُّض إلىٰ الحديث عن النفس، وهٰذا هو منهج السلامة، ويظهر هٰذا جليًّا في الرحلات التي تذاع في الإذاعة لمعالي الشيخ العبود، فإنه قلّ أن يتحدَّث عن شيء يتصل بنفسه، ومن هٰذا أيضا الرحلات التي دوّنها العلماء رحمهم الله تعالىٰ، فإنك تجد فيها بقلة حديثهم عن أنفسهم.

والمنهج الثاني: منهج مَن يُغلّب ذكر قصَّته في الرحلة، وهٰذا منهج قد يُستضعف ويُسترذل في بعض المواضع؛ لأنَّ من أسوأ الأمور أن يُكثر الإنسان الحديث عن نفسه، فإن الإنسان إذا أكثر الحديث عن نفسه ربَّما وقع في محذور شرعي، وهٰذا وإن كان سائغا في بعض الأوجه في الشريعة إلَّا أن له شروطًا ليس هٰذا محل بيانها.

وقد أحببت أن أذكر لكم أيها الإخوان جملةً من الفوائد التي انتقيتها من فوائد هٰذه الرحلة: هي أربعين فائدة، بعضها قد يستحق التطويل ويصل الكلام عليه إلىٰ ساعات، وبعضها يكون ذكره لِمامًا؛ لكننا سنحاول أن نذكرها علىٰ نحو موجز متوسِّط يناسب جميعها والحضور.

أما :

الفائدة الأولى:

فإن من أبواب التوفيق للعبد أن يفتح الله ﷻ له الفهم في النية، وقد كان ابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ يقول في كتابه «المدخل»: (**وددت لو أن بعض الفقهاء انتصبوا للناس يعلمونهم النية في أعمالهم**) اهـ.

لأن طائفة من الناس يواقعون أعمالًا يغيبون فيها عن شهود النية التي أمرت بها الشريعة، ولا يتفاضل الناس بأعمالهم إلا علىٰ قدر نياتهم، كما قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (**كم من عمل صغير عظّمته النية، وكم من عمل كبير صغّرته النية**) فينبغي أن يتفطن السالك إلىٰ الله ﷻ إلىٰ معاني النية في الأعمال.

ومِن جملة المعاني التي تُلفَت إليها الأنظار: النية في الرحلة في طلب العلم، ومن أفراد هٰذه النية أن ينوي الإنسان برحلته حفظ العلم علىٰ المسلمين، وقد سبق في بعض المجامع ذكر أن نية العلم منها: نية حفظه من الضياع وصيانته من الذهاب.

وقد ذكر القرافي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في «الفروق»: (**أن هٰذا يتوجّب علىٰ من ترشحت نفسه للأهلية بصلاحيتها، لكونها محلا للعلم**)، وإذا انضم إلىٰ ذلك القدرة والاستطاعة، فإنَّ هٰذا الوجوب يزداد علىٰ العبد لا سيما في مثل هٰذه الأزمان.

وينبغي أن يلتفت طالب العلم إلىٰ هٰذه النية، وإن كان مِن رحمةِ الله ﷻ بهٰذه الأمة أن الله ﷻ لم يَكِل حفظ الدين إلىٰ الناس، وإنما تكفل بحفظه، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر]، وأما أهل الكتاب فقال الله ﷻ: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[المائدة:٤٤] قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هٰذه الآية: (**إن الله ﷻ وكَلَ حفظ التوراة والإنجيل إلىٰ الأحبار والرهبان فأضاعوها، ووكَلَ حفظ القرآن إلىٰ نفسه ﷻ فهو له حفيظ**).

الفائدة الثانية:

لكل شيء سلاح، ومن جملة الأسلحة التي يحتاجها المرء: سلاحُه في الرحلة، وسلاح الرحلة: أكثرُ الناس يلتفتون المؤونة وما يحتاجون إليه في مطعمهم ومأكلهم ومشربهم، ويغفلون عن الالتفات إلىٰ الأمور التي تتزوَّد بها الروح، فإن الإنسان إذا لم تكن له روح قوَّية لم ينفعه بدنه في الرحلة، وكم من

إنسان تجده قويا لكنه إذا صار في سفر صار كَسِلا، لأنه يُفوِّت علىٰ نفسه كثيرًا من الأسلحة التي تقوي روحه.

ومن جملة هٰذه الأسلحة التي لمس الإنسانُ الانتفاع بها: **الإكثار من قراءة القرآن الكريم**، وقد أرشد إلىٰ ذلك ابن أبي عمر خال الضياء المقدسي، فإنه كان يقول له: (يا بني إذا خرجت في رحلة فابتغيت سفرة السماع والقراءة علىٰ الشيوخ، فأكثِر من قراءة القرآن الكريم). قال الضياء: فجرَّبتُه فوجدته كذلك.

والسِّرُّ في ذلك أن كلام الله ﷻ فيه من البركة: التي تحدث فتح الأبواب المغلقة من جهة قوة الروح، ومن جهة تيسير الأمور للإنسان، فينبغي أن يعتني طالب العلم بهٰذا الأمر اعتناءً كثيرا.

الفائدة الثالثة:

إياك والإخلاد إلىٰ كلام الناس في محلٍّ أينما كان أنه لا يوجد علماء، فإنّ جهل الناس بأخبار العلماء يوقع منهم هٰذا القول، فتجد أن كثيرا من الناس إذا سألت في منطقة هل يوجد أحد من العلماء في هٰذه المنطقة؟ تجد أنهم يقولون: لا، ثم بعد ذلك إذا رحلت وفتَّشت تجد كثيرًا من العلماء.

فمثلا كان هناك أحد العلماء يقال له: أحمد الله بن أمير الله الدِّهلوي آخر من دَرّس في المدرسة الرحمانية في الهند توفي سنة ١٣٦٣، وهو أكبر تلاميذ شيخ الهند نذير حسين الدِّهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فهٰذا الرجل أكثرتُ السؤال عن تلاميذه، وهو الآن له قرابة ٦٠ سنة تقريبًا توفي.

هل له تلاميذ في الهند؟ فكان الجواب ممن لقيت هنا وخارج الهند وداخل الهند ممن اتَّصلت عليه من قبل أنه لا يوجد، وأن غالبهم في باكستان؛ لأن الكثير من العلماء ارتحل لما حصلت فتنة الانقسام بين الهند وباكستان، ففي باكستان هناك كثير من العلماء من تلاميذه مثل شيخنا الشيخ عزيز زُبَيْدي وشيخنا الشيخ عبد الغفار حسن وشيخنا الشيخ عبد الخالق الرَّحماني، هؤلاء كلهم من تلاميذ أحمد الله الدِهلوي، ثم وجدنا في الهند أكثر منه، وهٰذا هو الظن؛ لأن الأصل أن العالم يكون تلاميذه في البلد الذي كان فيه.

فينبغي للإنسان دائما ألا يسمع من كلام الناس: لا يوجد علماء، كما تسأل في المملكة العربية السعودية: تقول في علماء في الباحة؟ يقولون: لا ما في أحد. وهناك الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الزَّهراني، تسأل هل في أبها أحد؟ يقولون لك: لا. وهناك الشيخ المعمر إبراهيم الحُدِيثي، وهكذا ما تجد

بلد إلا وفيه علماء.

وهناك مهارة من المهارات المهمة، وهي مهارة التَّفتيش، كيف تفتش عن العلماء؟ وهٰذه المهارة لها طرق، والكلام عليها طويل، وسبق قبل سنتين ربما تحدثنا عن هٰذا الأمر، لكن من أعظم الطرق التي تستطيعها الإكثار من قراءة كتب التراجم المتأخرة، ومن ضمن هٰذه التراجم ومظناتها المجلات والجرائد، فإن المجلات والجرائد غالبًا تُترجم باعتبار الوفيات، وتجد في ضمن هٰذه الترجمة التي: سببها الوفاة، يقال: ومن أقرانه أو من أصحابه أو لا زال فلان من شيوخه حيًّا وأشباه هٰذا، فتستفيد ذلك.

وهٰذه كما ذكرت هٰذه المسألة طويلة، لكن هٰذا تنبيه إلىٰ أنك لا تخلد إلىٰ كلام الناس أنه لا يوجد علماء.

الفائدة الرابعة:

من أعظم ما ينتفع به الإنسان التفرد بالنفس، لأن الإنسان إذا تفرد بنفسه عرفها، وأما إذا كان في جماعة فإنها تخفىٰ عليه، فينبغي أن يلتفت الإنسان إلىٰ التفرد بنفسه في الرحلات وفي الزيارات وفي المطالعة والقراءة والبحث، ويكون من ديدانه أن ينفرد بنفسه، لأنك إذا انفردت بنفسك عرفتها، عرفت قوتها وحرصها وعنايتها بالخير وثباتها عليه، واستطعت أن تلتفت إلىٰ عيوبك وأخطائك وكيف تقوِّم هٰذه النفس وتهذبها، كما أن فيها منافع كثيرة من جمع القلب؛ لأن الإنسان إذا كان في خُلطة فإنه قلبه يتبدد شذر مذر، فإذا انفرد انجمع إليه قلبُه، وكما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (أنفاس الناس تُظلِمُ في القلب) كثرة إذا خالط الإنسان النَّاس، فإن كثرة أنفاسهم تكون كالدُّخّان الذي يظلم به القلب، فإذا انفرد الإنسان بنفسه وخلا بها قلّت هٰذه الأنفاس فقلّت هٰذه الظلمات والأدخنة في ورودها علىٰ القلب، فحصل له نفع عظيم بهٰذا التفرد.

الفائدة الخامسة:

استجزاء بركة العلم، ولاسيما السنة، عندما ترىٰ امرءًا فقيرا كبيرا في بلد ناءٍ يُقصد إليه لشيء إلا لأنه من أهل العلم، فتعرف أن من بركة العلم أنه يحفظ للإنسان قدْره، والناس كافَّة كلما كبُر سنُّ واحد منهم قلّ زائروه إلا العالم، فإنه كلما كبُر سنه كثُر زائروه، بل ملوك الدنيا إذا كبِرت أسنانهم ربما عُزلوا عن ملكهم؛ لأنهم ليسوا بأهل للولاية، أما العالم فإنه كلما كبر سنه كلما ازداد انتفاع النَّاس به، فيعرف الإنسان أن من بركة العلم أنه يحفظُك إذا ضيّع الناس بعضهم بعضًا.

الفائدة السادسة:

مما ينبغي أن يَلتفت إليه المرء تقويمُ نفسه بإمساكها الشظف وضِيق العيش، لأنَّ النِّعم لا تدوم، ولأن المرء إذا لامس شظف الحياة عرف مقدار النعمة التي أوصلها الله ﷻ إليه، فإذا سافر الإنسان إلىٰ بعض البلاد التي لا توجد في كثير مِن قُراها أو مدنها حتىٰ الكهرباء مستمرة لأربع وعشرين ساعة، فهناك في الهند كافة: كل مدينة لا بد أن تنقطع عنها الكهرباء في اليوم، باختلاف الوقت إما ساعة أو ساعتين أو أربع ساعات، وهناك قرىٰ كثيرة لا توجد فيها الكهرباء.

والإنسان يجرب نفسه إذا انقطع الكهرباء في الظهر في الصيف كم يجد من الحر؟ فكيف إذا كان هٰذا ليس حالة نادرة، وإنما طبيعة دائمة، وكيف أن الإنسان يفقد الضوء إلا في النهار، وفي الليل لا يلتمس إلا إذا كان عنده مال إلا شمعا أو سراجا.

وكذلك ملامسة الإنسان لشظف العيش تورثه الرجولة، لأن الرَّغد يورث الأنوثة، فتجد أن كثيرا من الناس إذا ولغوا في نعماء الله ﷻ وأصابوا طرفا من الرغد: تأنّثوا في أخلاقهم وأحوالهم، وهٰذا تجده حتىٰ في طلبة العلم.

وانظر إلىٰ صبر طلبة العلم تجد أن الصبر فيهم قليل حتىٰ أن حمل الناس علىٰ العلم وتصبيرهم صار مستغربًا، فمن الناس من يستغرب الدروس المطوَّلة أو يستغرب أن يكون هناك درس بعد الفجر أو الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويرىٰ أن هٰذا الأمر نشاز وغريب، وخلاف الطريقة المسلوكة التي عليها أهل العلم كما يزعم.

وما منشأ هٰذا إلا أن الناس مالوا إلىٰ الدِّعة والراحة، فصارت نفوسهم لا تقوىٰ إلا علىٰ شيء ضعيف، فينبغي للإنسان أن يحمل نفسه علىٰ ملامسة الشَّظف وضيق العيش، وأن يتقلَّل من الدنيا، فإن الدنيا لا تدوم.

الفائدة السابعة:

من أعظم توفيق الله للعبد؛ حفظه لوقته وعمارته له بما يعود عليه بالنفع؛ لأن رأس مال الإنسان هو وقته، فإذا حفظ الإنسان وقته استفاد، وإذا أضاع الإنسان وقته فإنه يُضيع عُمره، ولذلك كما قال الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (صحبت الصوفية فاستفدت منهم فائدتين: الأولىٰ: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، والثانية: نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية).

فينبغي أن يعتني كل واحد منا بحفظ وقته وعمارته، ولا يغيبُ عنكم الآثار في هٰذا عن السلف رحمهم الله تعالىٰ، لكن إذا تفرَّد الإنسان بنفسه ورحل: رأىٰ بركة حِفْظ الوقت وعظيم الانتفاع إذا شغله بما يعود عليه بالنفع، فإنه يُصيب خيرا، ولذلك تجد أنَّ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ لما رحل إلىٰ دمشق وبقي فيها شهرا: قرأ في هٰذا الشهر أكثر من ألف مجلد، لأنه حفظ وقته خلال رحلته.

الفائدة الثامنة:

يتجلىٰ للإنسان في أسفاره أكثر؛ فضل التدبير والإعداد الحسن ورعاية الحال، وهٰذا الأمر يجده الإنسان في حال فراغه في داره، لكن يتجلىٰ أكثر إذا سافر، لأنَّ المسافر غريب، والغريب يجب أن يكون أريبًا أديبًا، ومما يعينه علىٰ التأدب وإحسان السلوك: أن يعتني بتدبير أموره وتسليكها في ضوء خطط معينة، فإذا دخل بلدة أو ارتحل رحلة يكون له أهداف وغايات يبحث عنها ويخطِّط لها من الوقت ما يعودُ عليه بالنفع.

كذلك مسألة رعاية الحال، وكثير من الطيبين إذا ارتحل إلىٰ خارج البلاد لا ينظر إلىٰ رعاية الحال، ورعاية الحال المقصود بها: أن تنظر (من أنت؟) (في أين أنت؟) يعني مثلا من ارتحل إلىٰ الهند: أنت عربي في بلد غير مسلم، وتنظر الفترة الزمنية التي تذهب فيها، فقد تكون حسَّاسة، فلا بد أن ترعىٰ الحال، وتكون تنقلاتك وزياراتك ومواعيدك وذهابك ومخرجك ومدخلك معروفًا حتىٰ تسلم من الآفات.

تجد بعض الإخوان يرتحل مثلا إلىٰ بعض البلاد العربية يجتمع ببعض الطيبين: يقولون: وش رايك: والله في هنا مخيم طيب، وش رايك تجينا؟ طيب خلاص نجيكم، ويروح المخيم، طيب وش رايك عندنا المدرسة الفلانية تأتي تلقي فيها كلمة، يروح يلقي فيها كلمة، هو يرىٰ أنه يفعل أفعال خير، وهي أفعال خير، لكن ربما يكون فيها ضرر عليه، قد تكون هٰذه المدرسة أو المكان.

هناك مثلا الدولة القائمة تنظر إليه نظرة أخرىٰ، دولتك تنظر إليهم نظرة أخرىٰ.

قد يكون هؤلاء ليسوا بناصحين، يعني أحد طلبة العلم ذهب إلىٰ الهند، وأراد الذهاب إلىٰ كشمير، وذهب إلىٰ كشمير وسكن في فندق، ونزل في الشارع وأراد سيارة أجرة، ملتحي أشّر له، دخل، قال: وين تبي: قال: والله أنا ودي أتفرج بكشمير وكذا، المهم حَسّن العلاقة معه، قال: خلاص، أي مشوار فأنا مستعد، المهم: بدأ هٰذا الرجل الملتحي لما رأىٰ الرجل يسأل عن أحوال المسلمين وأحوال

المجاهدين قال: بدأ فيه الرجل يمر في مكان ويقول: هٰذا مجاهد، ثم مكان آخر يقول: هٰذا فلان من المجاهدين، ثم بعد ذلك صار يقول: أنه في النهار هو يشتغل في الأجرة وفي الليل يذهب إلىٰ الجهاد، ثم أخذه إلىٰ مكان وأراه السلاح في مخزن، سلاح المجاهدين، وثار الحماس عند الأخ هٰذا، فطلع دفتر الشيكات وكتب له نص مليون رُبيّة؛ كتب الشيك، فطلع بطاقته قال: معك المباحث، رُمِيَ بالسجن شهرين كاملين، وخرج من السجن برشوة، فانظر هٰذا جرّ علىٰ نفسه لأنه لم يرع الحال، فينبغي أن يكون الإنسان ملتفتًا إلىٰ هٰذا الأمر.

من أعظم قواعد رعاية الحال: (كل من ليس لك به صلة، فلا تلتفت إليه)، ناداك واحد: فلان فلان: لو سمحت. أنت مالك صلة به ولا تقصده، فلا تلتفت إليه، هٰذه قاعدة نافعة خارج هٰذه البلاد في أي بلد عربي أو غير عربي.

الفائدة التاسعة:

ينبغي للمرتحل وطالب العلم خاصة أن يوسع دائرة الاستفادة، فلا تكن دائرة استفادتك إذا ذهبت في أمر واحد فقط، بل هناك أمور، فأنت تستفيد بالقراءة علىٰ الشُّيوخ، وتستفيد في البحث؛ تأخذ معك كتب؛ عندك مسائل تبحثها، قد تكون مثلا أحببت مثلا أنك تجمع من الكتب الرواة المقيَّدين مثلا، في «التقريب» مثلا: سفيان بن حسين ثقة في حديثه عن الزهري ضعف، وهكذا، فتجمع في أثناء الرحلة هٰذه، تاخذ معك «تقريب التهذيب» مجلد واحد، ومع الأيام ما هي إلا أيام تجد أنك قد أنهيت بحثا طويلا واستفدت من وقتك، أيضا من دوائر الاستفادة التفتيش؛ أن تفتش عن الكتب والمخطوطات، تزور المكتبات، فإن زيارتك للمكتبات مثلا تسأل المشايخ في عندكم كتب؟ من المعروف بالكتب؟ أين مكتبة الشيخ فلان؟

مثلا: هل تعلمون أن مكتبة الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن آل الشيخ موجودة؟ لا زالت موجودة في الرياض، مكتبة صديق حسن خان موجودة في الهند، وفي هٰذه المكتبات دُرر كما سيأتي التنبيه عليه في إحدىٰ النقاط.

كذلك تجد أن عند المشايخ تجد كتاب مطبوع قديم جدا، فتستفيد من هٰذه الطبعة تأخذها وتصورها مثل «الرفع والتكميل»، مثلا الطبعة التي طبعت في حياة اللكنوي.

لأن دائما قاعدة: حصولك علىٰ النسخ القديمة نافع جدا.

«الرفع والتكميل» قد قابلته علىٰ طبعة بوغدة فوجدت في موضع واحد سقط سطرين أو ثلاثة، ناسي، العهد قديم، لكن بها سقط، فينبغي دائما أن تحرص علىٰ الطبعات القديمة إذا وجدتها، ومعروف اشتهار الهند بهٰذه الطبعات، ولا زالت هناك مكتبات فيها هٰذه الطبعات في البلاد الهندية عند الجامع الكبير في دهلي.

أيضا من دائرة الاستفادة السؤال، أن تسأل العلماء عن مسائل محددة، تعرف فيها أقوالهم.

أيضا من دوائر الاستفادة الانتباه إلىٰ الاختيارات العلمية عن طريق أحوالهم أو أقوالهم عندما يتكلمون.

مثل: من الفوائد في هٰذه الرحلة: صليت خلف شيخنا ستر الله الفيضي، فكان يذهب إذا رفع: سمع الله لمن حمده يجهر: بربنا ولك الحمد، وهٰذه المسألة فيها خلاف، ولشيخنا الشيخ بديع الدين الراشد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ رسالة اسمها: «تنشيط العبد بالجهر بربنا ولك الحمد» فتستفيد أن هٰذا العالم الذي درّس الحديث أكثر من خمسين سنة من اختياراته أن السنة الجهر في هٰذه المسألة.

وكذلك لما سلّم زاد: (وبركاته) في التسليمتين، فيكون من طرق معرفة الاختيار استفادتك من أحواله وأقواله التي تراها.

الفائدة العاشرة:

من منفعة الرحلة معرفة أقدار العلماء، وسمعت الشيخ عبد الحميد آل مبارك ينقل عن شيخه محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مبارك أحد محقِّقي المالكية في الأحساء المتوفىٰ سنة ١٤٠٦ أنه كان يقول لهم: باللغة العامّية: (يا عيالي سافروا وانظروا العلماء، فإما أن تجدوا علماء أعلم منا فتستفيدوا منهم، وإما أن تعرفوا قدرنا فتستفيدوا منا)، فإذا سافر الإنسان وقف علىٰ مقادير العلماء، فعرف علماء عندهم علم جليل لا يعرفهم الناس، وكذلك عرف مقادير العلماء الذين في بلده.

الفائدة الحادية عشرة:

من منفعة الرحلة في العلم وصل حبل المعرفة بين أهل العلم، ومن آثار الاستعمار كما يسمىٰ؛ من آثاره قطع الصلة بين أهل العلم في البلدان الإسلامية، واقرأ كتاب «محمد نصيف حياته وتاريخه» للحاج محمد الأمين الحاج تجد كيف كان هٰذا الرجل ذو علاقة واسعة بعلماء المسلمين، واقرأ كتاب «مراسلات الألوسي لجمال الدين القاسمي»، واقرأ كتاب «ترجمة الشيخ سالم البنيان» مراسلاته بينه

وبين الألوسيين بين حائل وبغداد، فتجد الصلة العلمية بين علماء المسلمين قبل حدوث هٰذه الحدود وأشباهها، فلما انقطعت الصلة بين علماء المسلمين حصل لهم ضعف، حتىٰ تجد من علماء المسلمين السلفيين المشهورين بالعلم لا يعرفه علماء البلد هنا، ويستغربون أن يوجد عالم بمثل هٰذه المنزلة، والسبب التقصير في معرفة العلماء، حتىٰ أن أحد كبار علماء نجد كان يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما كنا نعرف المعلمي، ما كنا نعرف عالم اسمه المعلمي، حتىٰ أخذت كتابه «التنكيل»، فلما ذهبنا فإذا رجل في زاوية مكتبة)، والمعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ كان يعمل في مكتبة الحرم المكي.

فتجد أن التقصير في وصل حبل المعرفة بين أهل العلم له أثره السيئ علىٰ الأمة، لأنه إذا انقطعت وشائج الصلة بين العلماء كان ذلك له أثر سيئ علىٰ عامة المسلمين.

الفائدة الثانية عشرة:

من أشرف السفارات السفارة الدينية، وهي سفارة غير موجودة، وإن كان يوجد في سفارات المملكة العربية السعودية ما يسمىٰ بالملحق الديني فهٰذا له دور، لكن هٰذا الدور يختلف باختلاف نشاط هٰذا الملحق، لكن من أعظم من يقوم بالسفارة الدينية هم طلبة العلم والعلماء، لأنَّ السفارة الدينية يكون فيها نشر للدين، فأنت تلقي كلمات ودروس وتلتقي بعلماء وتربط الناس بدينهم وتربط صلة العلماء بالعلماء، فيكون لك أثر مُبارك في هٰذه السفارة الدينية، فينبغي أن يكون من جُهد الإنسان أن يكون من هؤلاء السفراء.

وهناك جمعيات خيرية لهم جهود مباركة في تيسير سفر طلبة العلم والدعاة إلىٰ البلدان الإسلامية، لكن ينبغي كما ذكرتُ آنفا أن تعرف إذا سافرت في هٰذه السفارة الدينية؛ أن تعرف الطريق الأقوم والأسلم لنفع الناس وإفادتهم.

الفائدة الثالثة عشرة:

خطورة تأثير العمل الدعوي الذي يسمىٰ بالحركي علىٰ عزل العلماء، لأن كثيرا من المشتغلين بالعمل الإغاثي والدعوي يقع منهم نظرة خاطئة للعلماء، لأنهم يقولون: هؤلاء علماء لا يذهبون إلىٰ التجار ويطلبون منهم المعونة. والسبب أن العالم له بعلمه عزة، فهو لا يرضىٰ أن يمتهن بنفسه بسؤال التجار أن أعطونا نريد نبني مدرسة، نريد نبني مسجدا، وغيرهم ممن هم أنقص رتبة له حالة التي تناسبه، وهٰذا معلوم، لأن الناس علىٰ أقدار.

وأنت إذا جئت إلىٰ رجل عظيم وأردته في حويجة أبىٰ، كما قال رجل: عندي حويجة: قال: اطلب لها رُويجلا، فتعود نظرة كثير من الدعاة والمشتغلين بالعمل الإغاثي إلىٰ العلماء أن ليس لهم دور وليس لهم عمل، فَيُنَحَّوْن عن الأمة، ولا يُدفع لهم معونات لأجل بناء مدارس، ورأيت أحد كبار العلماء في الهند عنده في مسجده يعني قرابة المائتين الذين يقوم عليهم بين ذكران وإناث ويدرِّسهم، لكن قدراتهم المالية ضعيفة، ومعونات الجمعيات الإسلامية السلفية وغير السلفية لهم لا شيء، لماذا؟ لأنه ليس تحت مظلّتهم.

ولذلك ينبغي أن يكون من مهمات السفارة الدينية محاولة معونة العلماء خاصَّة علىٰ التصدِّي للتدريس ونفع الناس ونشر الخير، وإذا رأىٰ الإنسان أي نفع لا يجد مثل نفع العالم أبدا، الهند لم يحفظ الدين فيها عند أهل الحديث والسنة إلا جهود الشيخ محمد نذير حسين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، الذي تخرّج من مدرسته مائة وخمسة وعشرون ألفا خلال ستين سنة، حفظوا العلم في البلاد الهندية والباكستانية، غيره من الذين كان لهم عناية بالعلم الدَّعوي أو الإغاثي لم تكن ثمراتهم مثل ثمرة نذير حسين.

فينبغي أن يلتفت الإنسان إلىٰ معونة العلماء، وإلىٰ خطورة كذلك العمل الدَّعوي علىٰ عزل العلماء، ينبغي أن ينصح الدعاة إلىٰ أهمية دعم العلماء، ولو كانوا لا يستطيعوا هم أن يكلِّموا التُّجّار والأثرياء، لأن العالم له عزته، ولا يرضىٰ أن يتنازل ليكلم هٰذا وهٰذا لأجل دعم هٰذه المشاريع.

فإذا كان عند إنسان مال من هؤلاء الجمعيات، ينبغي له أن يدعم العالم، ولذلك تعجب أنه في بلاد إسلامية عربية، هناك جمعيات رؤوس أموالها تصل إلىٰ البلايين، وثمرات أعمالها لا شيء، كان يمكن أن يقلبوا البلد في لحظات، ما عندي علماء في البلد، آتي بعشرة علماء، اللي آتي به من مصر، آتي به من موريتانيا، آتي به من المغرب، آتي به من الهند، وأنشرهم في البلد ويدرِّسون، ما هي إلا سنوات وتتغير البلد، الناس يتعلمون دينهم، لكن استمرت هٰذه الجمعيات سنوات طويلة وازداد البلد تفرق وجهل لأنهم لم يعلموا الناس دينهم.

فليس المقصود أن تغذي الناس، المقصود تعلم الناس دينهم، هٰذا الذي ينبغي أن يكون من هم أهل الإحسان والصلاح.

الفائدة الرابعة عشرة:

من أعظم البلاء الذي يُكوىٰ به المصلحون: التفاتهم إلىٰ التَّجميع والتلميع، وعدم نظرهم إلىٰ نوع

المجتمعين علىٰ الخير، لا يهم في أي عمل صالح كثرة من يقوم به، وإنما يهم صلاحهم، فتجد أن كثيرًا من الأعمال الخيرية التي رأيتها لا يبالي القائمون فيها: مَن يقوم بها ويساعد فيها، إذا كان يستفاد منه، فلو كان؛ تجد جمعية خيرية لأهل الحديث مثلا تجد أنه يعمل فيها أناس ليس عليهم سمت أهل الحديث ولا طريقة أهل الحديث، تجده حليق ونساؤه متبرجات.

فإذا قلت لهم ذلك، قالوا نحن قليل في البلد ونحتاج إلىٰ من يعيننا وكذا، هٰذا لا ينفع أبدا.

إنما ينفع ما كان خالصا حسنا، إذا كان العمل خالص وعلىٰ وجه ترضىٰ به الشريعة، الشريعة ما ترضىٰ بالتجميع، أجمع فقط مائة مائتين من النطيحة والمتردية وما أكل السبع، لا، واحد قد يقوم بعمل ألف إذا كان صالح وقوي ومتمكن ومخلص في عمله يكتب الله ﷻ علىٰ يديه نفعا كثيرا.

ولذلك من أعظم أخطاء المشتغلين بالإصلاح من أهل العلم أو غيرهم التفاتهم إلىٰ العدد والجمع، هٰذه بلية من بلاء الأمة.

فتجد أحد المشايخ كما حدثني أحدهم لما طلب منه درس قال: كم عددكم؟ قالوا: والله حنا عشرة، قال: لا، عشرة ما يصلح، إذا كنتم أربعين جئتكم.

بأي كتاب أم بأية سنة؟ كان نافع يجلس بعد الفجر فلا يجلس إليه إلا رجل واحد هو مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وبقي ذكر نافع إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، «موطأ مالك» انظر كم روىٰ عن نافع؟ الكتب الستة كم فيها من الأحاديث المخرجة عن نافع من طريق مالك، وهو أكثرها، فحفظ علم هٰذا الرجل واسم هٰذا الرجل، لأن الذي كان استفاد منه نعم المستفيد، فلا تلتفت في أي عمل إلىٰ كثرة الناس، التفت إلىٰ كيفية إفادة الناس وإصلاحهم ومعونتهم.

الفائدة الخامسة عشرة:

سوء أثر التثاقل وعدم القيام بالبلاغ، الهند إلىٰ قبل دخول الإنجليز كان بلدا إسلاميا، كان الحكم للمسلمين، بل مملكة حيدرأباد لم تسقط إلا سنة ١٣٨٠ قبل ٤٣ سنة، إذا رأيت الهند اليوم رأيت أن نسبة الهندوس ضعف نسبة المسلمين، هؤلاء الهندوس من أين جاؤوا؟ كانوا موجودين، عندما كانوا موجودين، لماذا لم يدخلوا في الإسلام؟ لأنه لم يُعتن بدعوة هؤلاء إلىٰ الإسلام. إنما اعتنىٰ المسلمون بالمظهر الحضاري، تاج محل، الجامع الكبير، السوق العظيم في دهلي، هٰذه أشياء مشهورة حتىٰ تاج محل من عجائب الدنيا السبع، فتجد المسلمين لهم بصمات حضارية، الآن أكثرها مهملة من القصور.

لكن دعوتهم للناس، لم تقم هناك دعوات تدعوا الناس إلىٰ دين الله ﷻ، وندر أن تقوم هناك دعوة، ربما دعوة واحدة أو دعوتين دعوة إسماعيل الشهيد هي التي كان لها أثر كبير في الهند، وأما غيره من الدعوات كل هٰذه القرون لم يكن هناك دعوات.

ولذلك ينبغي أن يعتني الإنسان بتعليم الناس في بلاد الكفار ودعوتهم إلىٰ الله ﷻ.

ليس المقصود الآن للأسف الشديد، يتكلمون عن الأندلس قصر غرناطة وطليطلة والشلالات، هٰذه ما هي بمكتسبات حضارية؟ المكتسب الحضاري هو الإنسان، ما هي الفائدة أن تكتسب تراب وبنيان، والناس من بعدك الذين ورثوا تجد أن الكفار غلبوا لأنهم لم يُدعوا إلىٰ الإسلام.

الفائدة السادسة عشرة:

شهود نعمة التوحيد، فإن المرء إذا رأىٰ ظلمات الجاهلية والشرك عرف قدر نعمة التوحيد التي أوصلها الله ﷻ إليه، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام] فتجد أن الذين ألبسوا إيمانهم بظلم من المسلمين الذين تلبَّسوا بالشركيات، أو من أهل الشرك المحض تجد سبحان الله الظُّلمة، حتىٰ أنك ترىٰ معابد الهندوس في أفخم البنيان، لكن ترىٰ عليها ظلمة وكدرا، وترىٰ في وجوه سدنتها الواقفين عند أبوابها الضاربين بأجراسها تجد ظلمة الشرك عليهم فتتذكر نعمة الله ﷻ أن الله جعلك مسلما حنيفا ولم يجعلك من المشركين.

الفائدة السابعة عشرة:

أعظم سوءة للأمة جهلُها بدينها، فإن أثر هٰذا عليها وخيم، ففي الهند هناك كثير من المسلمين، لكن أكثر هؤلاء المسلمين لا يعرفون دينهم، تجد أن كثيرا منهم نسبة ربما ثمانين بالمائة لا يصلون، إلا الجمعة أو العيد، والمسجد أمام بيته، وتجد كثيرا منهم -وهٰذه من أعظم الأشياء التي تراها في الهند- الأسماء، فتجد أسماء للناس لا محل لها من الإعراب.

ومن العجائب أنهم عندهم في التسمية يفتحون المصحف، ثم يضع يده علىٰ آية، فإذا وقع علىٰ اسم سمىٰ.

فمن الفوائد اللطيفة أن رجل جاءته بنت ففتح فوجد آية (ما تشاء)، اصبعه علىٰ كلمة (ما تشاء)، فسمىٰ بنته (ما تشاء)، ورجل جاءته بنت سماها بلقيس، فلما جاءت البنت الثانية فتح القرآن فوضع اصبعه فسمىٰ ابنته إبليس، هٰذه مشكلة، وحدة بلقيس ووحدة إبليس.

الفائدة الثامنة عشرة:

يشهد الإنسان في رحلاته أهمية العمل الخيري التطوعي، فإن عمل الخير والتطوع به يجعل الله ﷻ له من البركة أكثر من الأعمال التي تتبناها الحكومات، فتجد مدارس المسلمين هناك كثير منها تقوم على الإحسان والوقف من المسلمين في الهند أو خارج الهند، فتجد أنه بنيت مراكز كبيرة ومدارس كثيرة بسبب الأعمال الخيرية التطوعية التي قام عليها بعض الناس من الهند، أو بعض الناس من خارج الهند، والعمل التطوعي الخيري ليس هو الذي يُصرف له فضل الوقت والمال، بل هو الذي يُعطي الإنسان من وقته وماله حتى يثمر فائدة عظيمة لنفسه وللمسلمين.

الفائدة التاسعة عشرة:

أثر لزوم الأناة وعدم العجلة في العمل الخيري، فقد رأيت مركز له بنيان عظيم في دهلي، وله فروع الآن في خارج دلهي لم يبدأ إلا منذ ٢٣ سنة، بدأ بغرفتين اثنتين، هاتان الغرفتان هما الآن ملحقتان بالمبنى الذي يرتفع إلى عدة أدوار في دهلي، فبدأوا قليلا قليلا في جمع الأموال وإظهار أعمالهم الخيرية من بناء المساجد وحفر الآبار والمدارس وأشباهها، واكتسبوا ثقة عند المسلمين داخل الهند وخارجه الهند، ورأيت تزكيات كثيرة لهم منها.. من الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله وجماعة من العلماء، فالعمل الخيري خاصة إذا لزم الإنسان فيه الأناة ولم يستعجل يثمر خيرا كثيرا.

الفائدة العشرون:

من الفوائد التي مرت على الإنسان الوقوف على تواضع العلماء، ومن تلك القصص التي تحت هٰذه الفائدة ما حدثني به الشيخ عبيد الله بن أبي النعمان الكشميري عن والده قال: إن أحد طلبة العلم لما ورد إلى دهلي اسمه الشيخ عبد الجبار الغزنوي عالم معروف مشهور لما وصل إلى الهند لطلب العلم، ووصل إلى محطة القطار التفت إلى حمّال، فجاءه رجل فقال: تريد أحمل لك كتبك؟ قال: نعم، وأريد أن تذهب بي إلى مسجد فتح بوري، هو مسجد الشيخ نذير حسين رحمه الله، قال: أعرف المسجد، قال: طيب خذني إلى المسجد، أخذه إلى المسجد ثم أدخله المسجد ولما دخل المسجد وضع الكتب فقال له عبد الجبار: كم الأجرة، قال: لا أريد، أنت طالب علم وأنا من المسلمين وأنا أخدم المسلمين، خرج هٰذا الرجل من فناء المسجد، فلما دخل عبد الجبار قال للطلبة: أين (مِيان صاحب): مِيان صاحب لقب نذير حسين، قالوا: (ميان صاحب) الذي شال كتبك، فخرج بسرعة

ولحقه، واعتذر له وبكىٰ وهو صغير في السن، ومعلوم أثر الصغير عند رجل كبير وهو الشيخ الذي يطلبه، فبكىٰ فقال: يا بني لا عليك، أنت تريد ميان صاحب، قال: نعم، قال: أنا (ميان صاحب) وأنت ضيفي وقد قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وهٰذا إكرام الضيف.

ولذلك سبحان الله نذير حسين هٰذا يعني ترجمته وحياته وعجائبه أمر آخر، ولم يكن في القرن الماضي رجل مثل نذير حسين فيما نحسب والله حسيبه.

وليس أشهد من ذلك أن يقول مؤرخ الهند عبد الحميد حسني قال: وأما العلماء من تلاميذه فإنهم يزيدون عن الألف، منهم من أهل نجد سعد بن حمد بن عتيق، إسحاق بن عبد الرَّحمٰن بن حسن، علي بن ناصر أبو وادي، ومنهم من أهل الهند المشهورين عبد الرَّحمٰن المباركفوري صاحب «التحفة»، وصاحبه شمس الحق العظيم أبادي صاحب «عون المعبود» وهلم جرا.

الفائدة الحادية والعشرين:

من أعظم منفعة الطالب أن يتلقىٰ عن الأكابر، ومن تحت هٰذه الفائدة أن هٰذا الشيخ الذي كان أكثر حضوري عنده؛ شيخ عبيد الله الكشميري؛ هٰذا الرجل قد قارب الثالثة والثمانين، وكان كثير البكاء أثناء قراءة الحديث، وخاصة شهدت بكاءه عند الأمور التي تتعلق بمقام النبي ﷺ والتي تتعلق بأبواب الجنائز وأحكامها، والإنسان يتأثر ببكاء العالم تأثرا عظيما، ولابن الجوزي كلام في صيد الخاطر وفي المنتظم حول هٰذه المسألة.

وشهدنا هٰذا كثيرا أن الإنسان إذا أخذ العلم عن الأكابر كساه العلم هيبة وخشوعا لأنه يرىٰ الناس الذين يتلقىٰ عنهم يخشون ويخشعون ويخافون الله ﷻ.

الفائدة الثانية والعشرين:

فضل الله ﷻ علىٰ الفارّين إليه، ومن ذلك قصة أبي النعمان الشيخ عبد الرَّحمٰن [الدَّوكمي] البستوي والد عبيد الله، فقد كان هٰذا الرجل ابن أحد عظماء بَست أو بستي منطقة في الهند، فلما كان في أول مراهقته مال إلىٰ التدين، ولم يعجب هٰذا الأمر والده أن يخرج ابنه مَوْلَوِيًّا، يعني من أهل الدين والعلم، فلما استشعر هٰذا أبو النعمان فرّ من قصر أبيه وعمره أربعة عشر سنة، فرّ لطلب العلم.

الفائدة الثالثة والعشرون:

تتعلق به: **الصبر علىٰ طلب العلم**، فإن هٰذا الرجل خرج عمره أربعة عشر سنة، ثم جال في الهند تسعة

وعشرين سنة في طلب العلم.

الإمام مالك كما في الحلية ترجمته: كان الرجل يختلف إلىٰ الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه.

تسعة وعشرين سنة خرج في طلب العلم ما له أحد يدفع له فلوس: رحلة وانتقال من بلد إلىٰ بلد، وشظف عيش مع ما كان عليه من الحياء، حتىٰ أنه لما جاء إلىٰ حسين بن محسن الأنصاري وافق مأدبة غداء، وكان حسين بن محسن مَلْفَىٰ للناس، وكان دائما عنده مثل الشيخ عبد العزيز الله يرحمه، دائما عند نشاط، فلما جلس عنده وسلم قال: تعال كل، فاستحىٰ فقال: ما أشتهي الأكل، غريب ومُعدم شاب صغير، ومع ذلك تجد عنده الصبر ومثل هٰذه الأنفة، فقال له الشيخ حسين: إن لم تأكل فلا تأتني، فأكل لأجل كلمة الشيخ.

الفائدة الرابعة والعشرون:

تتعلق به أيضا: أنه جال في الهند فأخذ عن أهل الحديث وغيرهم، وتتلمذ علىٰ علماء كثير، يقول ابنه الشيخ عبيد الله فيما كتبه بخطه يقول: خرج في طلب العلوم الدينية حين كان عمره أربعة عشرة سنة فلم يرجع إلىٰ بيته، ولم يخبر أحدا بمقامه وحاله كيف هو، وأين هو، حتىٰ فرغ من تحصيل العلوم بأسرها، وأفرغ وأفنىٰ من عمره تسعة وعشرين عاما، ضرب مشارق الأرض ومغاربها في الهند، ولم يقصد ولم يلتفت إلىٰ الجامعات الإسلامية والمعاهد الدينية، بل طلب كل علم وفن من أجلّة الشيوخ وأكملهم...[1]

... «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» هٰذا في (بُوبَال) في الجهة الثانية، ثم الأدب العربي القديم من الشيخ السيد ناصر حسين، هٰذا في (لَكْنُو)، وتلميذه الأديب اللبيب الشيخ السيد سبت حسن رضوي اللكنويان، وإنهما وإن كانا من أهل التشيع، لكن كان لهما اليد الطولىٰ في الأدب العربي، كانا أعلم أهل الهند في العربية، كانا يُلقيان الدروس عن ظهر قلب من غير نظر في كتاب، ويأتيان بالشواهد الكثيرة الوافرة من أشعار الجاهلية في دواوين العرب العرباء.

ثم تفسير القرآن الكريم من الشيخ الزاهد الحافظ عبد الله الغازفوري ثم اللكنوي.

ثم حصل المعقولات: الفلسفة اليونانية والمنطق من أجلّة شيوخ هٰذا الفن في خيرآباد من مضافات

---

(١) انقطع التسجيل.

لكنو، وكان من أسرة الشيخ عبد الحق وفضل الحق وخير أبادي.

ثم الفقه والتجويد من شيوخه في دار العلوم ديوبند، والقراءات العشر، قرأ القراءات العشر في ديوبند، وسنده الآن سند ولده ما قرأ عليه إلا حفص، ولم يبق من تلاميذه إلا ولده، سنده أعلىٰ سند في البلاد الهندية، ولا يعلم بذلك أحد في التجويد والقراءات.

ثم ارتحل إلىٰ (بُوبَال) -الذي يكتبون عندنا (بهوبال) الهاء لا تنطق- فقرأ السنن الأربع وأصول الحديث عن الشيخ حسين بن محسن الأنصاري-وهٰذا الشيخ حسين محسن الأنصاري هو من العلماء الذين كان إسنادهم في الكتب الستة متصل بالسماع-، شيخ صديق حسن خان، وكان أدرك صديق حسن خان في بوبال.

ثم «الصحيحين» وتفسير القرآن الكريم علىٰ شيخ الكل في الكل شيخ العالم السيد نذير حسين الدهلوي، قرأ هٰذا في دهلي، قرأ عليه الصحيحين بنفسه وسمع السنن الأربع بقراءة غيره وتفسير القرآن كاملا الذي بلغ عدد تلامذته .. إلىٰ آخر ما قال.

فانظر إلىٰ سيرة هٰذا الرجل أبو النعمان رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ، وما فيها من الفوائد الثلاث التي ذكرنا فراره إلىٰ الله وصبره علىٰ طلب العلم وأخذه عن أهل الحديث وغيرهم.

الفائدة الخامسة والعشرون:

تنوع علومه ومعارفه، أقصد أبا النعمان، فهٰذا الرجل كان في العلوم العقلية عالم، في القراءات والتجويد عالم، في الفقه الحنفي: درس الفقه الحنفي في ديوبند علىٰ محمود الحسن ورشيد الدين الكنكوهي، وكذلك درس علىٰ كبار علماء الحديث نذير حسين وحسين بن محسن الأنصاري رحمهم الله تعالىٰ، وعلوم العربية درسها علىٰ ناصر حسين والسيد حسن الرَّضوي.

ولذلك أحد تلاميذه هو أبو الخير السَّلفي قال..

وهٰذا أبو الخير السلفي له تاريخ ثاني، أبو الخير السلفي رحل لأجل طلب العلم إلىٰ الشام فأدرك أحد علماء أهل بيطار، وأظنه عبدالرزاق بيطار، لأنه قديم الرِّحلة، ثم رجع إلىٰ الهند ووجد فيها الشيخ أبو النعمان فقال: (رحلت إلىٰ بلاد العرب فلم أستفد شيئًا، وجئت إلىٰ عالم هندي فاستفدت منه أكثر مما استفدت في بلاد العرب)، فتجد أن تنوُّع العلوم والمعارف كان له أثر في استفادة هٰذا العالم الذي هو أبو الخير منه.

فإن .. العرب ما عندهم هٰذه العلوم، تجده عالم إما، أكثر العرب للأسف قصروا في العلوم، خاصة المتأخرين منهم فقط، تجده إما عالم في الفقه فقط أو الحديث فقط أو النحو فقط، بخلاف العجم تجد جماعة منهم من برّزوا خاصة من أهل الحديث في البلاد الهندية، برّزوا في العلوم النقلية والعقلية.

الفائدة السادسة والعشرون:

إمكان بلوغ المأمول في العلم، لأنه ليس هناك مستحيل، كما قيل عزم الرجال يدكُّ الجبال، فإذا كان عند الإنسان عزيمة صادقة ونية خالصة، فإنه يبلغ مأموله.

ومن ذلك هٰذا الرجل أبو النعمان في تنوع معارفه.

ومن ذلك تلميذه أبو الخير السلفي فإن أبا الخير السلفي مما اتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه أنه كان يحفظ «الصحيحين» و«الترمذي» بأسانيدهما، واختلفوا في حفظه لبقية الستة، وشهد بحفظه للستة نذير أحمد الأملوي أحد علماء الرحمانية أحد شيوخ الشيخ عبيد الله، فإنه قال في مجمع: قال أحدهم: أبو الخير لا يحفظ إلا الصحيحين والترمذي، قال: بل يحفظ الكتب الستة.

أبو الخير هٰذا كان لا يذكر حديث إلا يذكر إسناده حتىٰ أنه إذا جاء ليحمد الله بعد الأكل ساق حديث الحمد بالإسناد، بعدين قال الحمد، وله قصة تأتي.

فهٰذا الرجل وأيضا من القصص التي ذكرها نسيبه أبو الحسن الندوي المشهور هٰذا، أبو الخير تزوج أخت أبي الحسن، يقول: كنت أقرأ بالسرج القديمة كتاب بالأردو، يقول: كنت أقرأ في «سنن الترمذي» بصوت عالي وأطالع وكان جالسا، فالتفت إلي وقال: أنت أعمىٰ ما ترىٰ! لقد تركت رجل، يقول: فلما نظرت فإذا بي قد تركت رجلا، يقول: هو ما كان يمِّي، وكنت أقرأ فأسقطت رجلا من غير أن أنتبه، وهو كان غافلا عني، وانتبه إلىٰ إسقاطي أحد الرواة.

وممن شهد بحفظه الشيخ عبد الرَّحمٰن الفريوائي فإنه مر علي في كتاب قديم: يقول إني أدركتُ صغيرا وكنت أعجب منه أنه كلما تكلم كان يذكر الأحاديث بإسنادها، فهٰذا الرجل بلغ مأموله في العلم، فليس هناك شيء مستحيل في العلم.

الفائدة السابعة والعشرون:

العلم لا يضره الفقر، لأن العلم في القلب، والفقر إنما يكون علىٰ البدن، فلا يخشىٰ الإنسان أنه ربما أصابه فقر أو غيره تعطل عن العلم، بل يقولون: كلما كان الإنسان فقيرا كان أحرىٰ أن يكون من أهل

العلم.

لما اعتذر ابن حزم للباجي في المناظرة قال له: يعذرني الشيخ، يقول لـه ابـن حـزم، يعـذرني الشـيخ، فإني كنت أطالع العلم علىٰ السُّرج: اللمبات، فهو ابن وزير، يعني حنا أهل الدنيا قليل فينـا العلـم، يقـول الباجي: فإني كنت أطالع العلم علىٰ الشمع، يعني الفقير أصعب للعلم لفقره، ومع ذلك إذا حرص الفقير فإن فقره لا يضره.

ومن القصص التي تتعلق بهٰذا أن أبا القاسم البنارسي أحد العلماء وهو ممن أجاز الشيخ محمـد بـن عبد اللطيف وإجازته محفوظة في مكتبة الملك فهد؛ أبو القاسم البنارسي هٰذا كان رجلا فقيرا مع أنه كان له مدرسة عظيمة تخرَّج منها كثير من العلماء منهم الشيخ عبيد الله وجماعة، يقـول الشـيخ عبيـد الله: لـم يكن في بيت أبي القاسم البنارسي لتناول الطعام إلا صحنٌ واحد، يأكل فيه أهل البيت واحدا بعد الآخـر، يقول: وعرفت ذلك أني جئته مرة فقدم إلي طعاما، يقول: فكنت آكل علىٰ مهل، فقام الشـيخ، وكـان ابنـه الصغير عندي، فقال لي عجّل: فإننا لم نأكل بعد، وليس عندنا إلا هٰذا الإناء نأكل فيه واحدا بعد الواحد.

فسبحان الله: ذكرني بقصة عمر بن عبد العزيز لما مات في الاحتضار قال له رجل: ألا توصي لأبنائـك بشيء؟ فقال: من كان منهم مطيعا فسيغنيه الله، ومن كان منهم عاصيا فلم أكـن لأعينـه علـىٰ معصـية الله، اليوم أولاد أبو القاسم حالهم في الهند من كبار التجار ببركة والدهم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، ما كان عليـه مـن الخيـر والهداية.

الفائدة الثامنة والعشرون:

العالم مهما كان فقيرا، فإنه ينبغي أن يكون عزيزًا، لأن عزة النفس إذا كُسرت ذهبت قوة العالم، ومن أعظم صفات العالم وطالب العلم أن يكون عزيز النفس.

أبو القاسم البنارسي يقول الشيخ: كنت عنده في جلسة الدرس، حالة الفقر التي تعرفونها، وكنا ندرس في «صحيح البخاري»، وكان الشيخ فاتح الكتاب أمامه علىٰ تكَّاية لا يضعون الكتب علىٰ الأرض، يحطونها علىٰ مثل حقة المصاحف، المهم يقول: فجاء رئيس البلدة، جاء ومعه نقود رُبِّيات آلاف الربيات [ووضعها] علىٰ الكتاب، فقال للشيخ: نبيك تروح معنا.. في موضوع الظاهر، وضع الفلوس وقال الكلمة هذي وحط الفلوس، الشيخ أخذ الفلوس ورماها، وقال للطالب: كمِّل، وما التفت، الرجل هٰذا رجع وجلس انتهىٰ الدرس،.. محرج رئيس البلدة هذي، قام ولحق واحد من الذين

يقرؤون عليه قال: أريدك تكلم الشيخ ونحن عندنا كذا وكذا، قال: ما أقدر، شوف الشيخ عبيد الله خله يكلهم هو يُمون عليه، لأن شيخ عبيد الله من العلماء لأنه دارس علىٰ أبيه، يقول: جاءني هٰذا الرجل فقال لي: فقلت لا أستطيع أن أكلمه وأنت فعلت هٰذا الذي فعلت من سوء الأدب، وكذا عاد نصحه؛ لكني ما كلمته وصرفته عن الشيخ، انظر إلىٰ عزة العالم مع حاجته وفقره، هٰذا الرجل جاه بيعطيه فلوس يقول: امش معنا.

الفائدة التاسعة والعشرون:

من أعظم أخلاق طالب العلم تعظيمه لشيخه في طاعته، ومن ذلك أنَّ أبا النعمان كان يريد منه الناس أن يخرج إلىٰ غير [..]، فكان في هٰذه البلدة وعلمه فاق** هٰذه البلدة، وكان يأتي ناس يقولون سنبني لك مدرسة، وتعال في منطقة كذا، فكان يعتذر يقول: أنا أرسلني شيخي نذير حسين إليها فلم أكن لأخرج منها؛ لأن نذير حسين لما كان في دهلي جاءه بعض الناس من هٰذه البلدة، وقالوا: نحن ليس عندنا أحد من أهل الحديث يعلم الناس، والبلد بلد بدع، .. قال: يذهب معكم أبو النعمان، فذهب معهم أبو النعمان واستقر في .. ورفض أن يخرج منها طاعة لشيخه حتىٰ توفي في نفس المنطقة، مع علمه أنه لو خرج إلىٰ غيرها أو انتقل إلىٰ دهلي أو غيرها كان انتفاع الناس وشهرته أكثر من عدم معرفة كثير من الناس له.

الفائدة الثلاثون:

إن للأمة كنوزا هي اليوم متفرقة، وهي أحوج إلىٰ من يستخرجها، الآن الناس يهتمون بالحركة الاقتصادية، وهناك مؤسسات ومجامع دولية للاقتصاد وتعتني الدول بهٰذا.

وأعظم من هٰذا الثروة العلمية أو كما يقولون في علم الحضارات: الثروة الثقافية التراثية، الأمة الإسلامية بسبب ضعفها وجهلها والحروب والتَّفرُّقات تفرَّقت كنوزها، ومن جملة هٰذه الكنوز المكتبات الخطية في الهند، المكتبات الخطية في الهند في مرحلة خطرة، لأنها أمام ضعف المسلمين، وأمام تسلُّط الهندوس، فيخشىٰ أن تذهب هٰذه الآثار وتضيع.

ومن تلك الكُنوز التي وقفت عليها مكتبة صديق حسن خان، وفي هٰذه المكتبة من دُرر الفوائد وغررها الشيء العجيب، فهناك كتب بخطوط جماعة من العلماء المشاهير، وهٰذه المكتبة آلت إليها مكتبات إما بالشراء وإما بالإهداء والعطية: منها مكتبة الشيخ إسحاق بن عبد الرَّحمٰن آل الشيخ، فإنه

نزل ضيفا عند صديق حسن خان ست سنوات، وهناك كتب لإسحاق بن عبد الرَّحمٰن آل الشيخ إما بخطه من مصنَّفاته، ومنها كتاب المسائل التي انفرد بها ابن تيمية، وإمَّا لجده الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد وجدت كل كتب الشيخ محمد أو معظمها.

وإما كتب لوالده عبد الرَّحمٰن بن حسن، وقد وقفتُ علىٰ نسختين من فتح المجيد إحداهما، هٰذه كلها في الفهرس؛ لأن ناظم المكتبة يعني القائم عليها كان مسافر ما استطعت أن أقرأ المخطوطات لازم يأتي هو، لكن في فهارسها موجود هٰذا، منها نسخة مكتوبة في سنة وفاة الشيخ سنة ١٢٨٥.

ومنها كتب بخط محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وبخط ابنه عبدالله، وأعظم نسختين في العالم لـ«سبل السلام» موجودة في تلك المكتبة، إحداهما بخط عبد الله بن الأمير، والثانية بخط أحد تلاميذ الأمير، وكلاهما مقروءتان أو تحت نظر الأمير رحمه الله.

وكذلك هناك كتب للشوكاني.

وكذلك هناك نسخة نفيسة لسنن الدارقطني تعود إلىٰ القرن السادس.

وأشياء أخرىٰ من النوادر، ومنها كتب للشيخ صديق حسن خان بخط يده لم تطبع، وأشياء أخرىٰ هٰذه في مكتبة واحدة.

هناك المكتبة [العصفية] والمكتبة السَّعيدية ومكتبات أخرىٰ في الهند هي من الخطورة بمكان كما ذكرت.

فينبغي للإنسان أن إلىٰ كنوز الأمة ليجمعها، ويعتني بها إذا دخل بلد يحاول يصوِّرها يحاول يقتنيها يحاول أن ينتسخها، علىٰ الأقل إذا وقف عليها سجلها قد يستفيد منها باحث يحققها أو يدل عليها رجل من أهل الخير والإحسان ويصوِّرها: يدفع لها القيمة، أو يراسل عن طريق أحد الوجهاء يأتي بهٰذه الكتب، فهٰذا يكون له أثر كبير في حِفظ كنوز الأمة.

الفائدة الحادية والثلاثون:

من أعظم ما يفيد الشيخ تلميذه: صبره في العلم، ولذلك من آثار المدرسة الهندية عند المتعلمين أنهم ذوو صبر، نذير حسين مثلا كان له جلد عظيم في تدريس العلم حتىٰ أن «صحيح البخاري» قُرئ عليه أكثر من مائة مرة، لما سأله أحد تلاميذه، قال كم درّسته؟ قال: لا أدري لا أستطيع أن أحسب، قال: مائة؟ قال: هي فوق المائة.

أبو القاسم البنارسي درّس «الصحيحين» أكثر من تسعة وعشرين مرة.

عبد المنان الوزير أبادي درّس الكتب الستة أربعة وثلاثين مرة.

محمد إقبال الرحماني بقي يدّرس بلوغ المرام ثلاث ساعات يوميا أكثر من ثلاثين سنة، ونسخته سرقت من مكتبته بعد وفاته، كان عنده نسخة يكتب عليها الهوامش والتنكيتات اختفت هٰذه بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

تجد هٰذا أثره علىٰ الشيوخ الذين تعلموا من هٰذه المدرسة.

فمثلا الشيخ الذي قرأت عليه مثل الشيخ عبيد الله كان له صبر علىٰ القراءة لا تجده للأسف عند أهل بلدنا، لماذا؟ لأن الناس أصابهم رغد العيش ولم يتربَّوا علىٰ الصبر، لأن دراستنا الأكاديمية الآن الحصة كم؟ ساعة بالكثير أو خمسين دقيقة، كيف تُخرج صابرين علىٰ طلب العلم، والدروس الدرس الطويل يكون ساعة وربع ساعة ونص، ويستثقله الطلبة، فيعود هٰذا بالأثر السيئ علىٰ موت العلم، أما إذا كان الناس أهل صبر؛ بهٰذا يُحفظ العلم ويبقىٰ.

الفائدة الثانية والثلاثون:

من أعظم منن علىٰ هٰذه الأمة أن الله تكفل بحفظ العلم كما سبق ذكره، ومن ذلك بقاء السند السماعي للكتب الستة، وأكثر طلبة العلم يظنون هٰذا خيال، لكنه الآن في العالم لا يوجد إلا عند النوادر، ربما الكتب الستة كاملة سماعية عند ثلاثة عند أربعة، واحد توفي في اليمن، والثاني عمره مائة في اليمن، واثنان في الهند، أحدهما عنده السنن الأربع الذي هو الشيخ عبيد الله والآخر عنده الكتب الستة، وكلاهما قد جاوز التسعين، فتجد أن من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ الأمة أنه يُبقي في الخلق من يحفظ هٰذا العلم حتىٰ يورِّثه إلىٰ غيره، ولا سيما علم الحديث، وقد قال الشاعر:

أهــل الحــديث طويلــة أعمــارهم

من أسباب تطويل العمر اشتغال الإنسان بالحديث.

الفائدة الثالثة والثلاثون:

ضعف همم أهل العصر في العلم، وليس أدلّ علىٰ ذلك أن الكتب الستة كانت هناك في اليمن كانت هناك ثلاثة أشهر يسمونها أشهر الحديث في زبيد، رجب شعبان رمضان، يقرؤون فيها الكتب الستة.

الآن [زادت]*** عندهم الهمة يقرؤون «الصحيحين».

الهند كذلك ليست همم الناس كما سبق، لا زالت الجامعات كثير منها الإسلامية أو بعضها عندهم إقراء الكتب الستة، لكن بقاء اتصال سندها والعناية بهٰذا لم يبق عند كبير أحد، أسانيد تجدها مقطعة.

ومن ذلك الشيخ عبيد الله، فهٰذا عنده سند السنن الأربعة عن والده ووالده عن حسين بن محسن، حسين بن محسن عن الحسن بن عبد الباري بإسناد معروف مشهور وموجود، تجد أن هٰذا لم يقرأ عليه السنن الأربع إلا واحد، علىٰ الشيخ عبيد الله، وهٰذا الواحد، التأنيث للعدد، .. ليس رجل امرأة؛ قرأت عليه السنن الأربعة؛ يعني سبحان الله تجد أن الله ﷻ قد يدَّخر من الخير لأناس دون أناس، ويهب الهمة لأناس دون أناس، فهٰذا الشيخ عبيد الله لم يتتلمذ عليه أحد مثل ابنته.

وحدة من بناته تتلمذت عليه، اسمع ماذا تتلمذت عليه، يقول في إجازته لها: فإن البنت السعيدة الصالحة سهيلة بنت أبي الحسن عبيد الله الرحماني السعيدي لما فرغت من الصف العاشر من المدرسة الحكومية ببلدة كذا بكشمير وفازت في الاختبار السنوي ودخلت في عمرها في الخامسة عشرة نالت بكامل الجد من العلوم الدينية فحصلت مني علوم الصرف والاشتقاق والنحو والأدب الابتدائي والبلاغة والمنطق ومعرفة الاصطلاحات، حتىٰ إذا أتقنت هٰذه العلوم من كتبها المتداولة، وضبطت مسائله الضرورية وتمكنت من فهم العبارات وتراكيبها النحوية بادرت إلىٰ العلوم الدينية، فدرست مني ترجمة القرآن الكريم مع حل اللغات ومسائل الصرف والاشتقاق والنحو فيها، و«بلوغ المرام من أدلة الأحكام» و«تفسير الجلالين» و«مشكاة المصابيح» و«أصول الحديث» و«سنن ابن ماجه والنَّسَـٰئِيّ وأبي داود والترمذي»، وأبواب من «الصحيحين»، هٰذه ما ذكرها، لكن أنا سألته؟ ما قرأت الصحيحين؟ قال: أبواب من الصحيحين، و«أصول الفقه»، و«فقه السنة» و«عقائد أهل السنة الحنابلة» والجزء الأول من كتاب «حجة الله البالغة».

هٰذه تسعة عشر فن وكتاب، وغيرها من كتب التفسير والحديث والأدب والتاريخ من غير استيعاب.

فجاءت بحمد الله وعونه علىٰ قدر من العلم والفهم والبصيرة لم تأت بها أترابها وأقرانها اللواتي تفرغن وتعلمن في الجامعات الاسلامية للبنات في الهند.

وليست هٰذه الشهادة لها مني شهادة الأب للولد، ولا الدعوىٰ بلا بينة، بل هي بنفسها بحمد الله وفضله الشهادة لها علىٰ فضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

يقول: وعندي ما ذاك إلا لأنها وإن كانت من أذكىٰ البنات وأفهمها وأفطنها قد شرعت في العلوم الدينية بعدما دخلت في سن الشعور الكامل، وبعد التمكن البالغ من الألسنة واللغات الثلاث الأوردية الفارسية والإنجليزية، ومن العلوم العصرية الرياضية الحساب والجبر والإقليدس من علم الهندسة والجغرافيا والتاريخ ومن العلوم الحياتية والكيميائية، فأخذت من بدء أمرها بكمال الجد ما كانت تضيعه الطالبات بالهزل وعدم المبالاة لصغر السن وعدم الاستعداد التام الضروري، وقد حصَّلت العلوم الدينية، ولأنها حصلت العلوم الدينية الآلية والأصلية علما علما ودرست فيها كتابا كتابا أو كتابين كتابين، ولم تزد هٰذا القدر... حتىٰ أتمته إلىٰ آخر ما ذكر.

وهٰذه البنت درّست «الصحيحين» في مدرسة عائشة أم المؤمنين بندوة العلماء بـ«لكنا» وتزوجت أحد طلبة العلم العرب.

الفائدة الرابعة والثلاثون:

نعمة التوفيق للولد الصالح، فإن الشيخ رُزق ذكرا واحد، لكنه رجلٌ صالح يُمكن أهل العلم من اللقاء بأبيه والقراءة عليه، لأنه قد يُحرم الناس خير العالم بسبب أولاده.

وأذكر مما اكتوت به نفسي أن أحد علماء الإحساء اسمه الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك، وقد أدركته وهو في السابعة والتسعين من حال بيني وبين القراءة والإجازة منه: ابنه هداه الله.

فقد كان يقول: الشيخ كبر، بهٰذه العبارات العامية، الشيخ كبر ما تستفيد منه، الشيخ ما تقدر تقرأ عليه، ما يفيدك القراءة، إلىٰ آخر الكلمات المعروفة عند العوام.

فتجد أن يكون لهم دور في حجب الخير للناس وعن والديهم أيضا، بخلاف إذا رزق الإنسان ولدا صالحا فتجده يعين طلبة العلم ويعين والده علىٰ بذل العلم والاستفادة.

الفائدة الخامسة والثلاثون:

الحاجة إلىٰ تقييد العلم، لأنك قد تصاب بالذهول والنسيان، فتكون الأوراق حافظة لما تريد أو تقول أو تعمل به؛ من ذلك رجل لقيته أحد العلماء اسمه شكر الله الفيضي في (مونديار) هٰذا الرجل كبر في السن جدا، عقله معه لكنه صار ينسىٰ، وكنت أسأله عن أشياء قرأت علىٰ الشيخ فلان؟ لا ما أدري، (أحمد الله) قال: لا ما قرأت عليه، فجاءني رجل بأوراق مسودة والمبيضة وعد ببعثها إلي كتبها أحد أهل القرية عن هٰذا الشيخ قديما، أوراق في ترجمته، فوجدت منها أنه التقىٰ بـ(أحمد الله) وقد درس عليه،

وأن أحمد الله أرسله مع فلان إماما لمسجد في إحدىٰ مناطق الهند، فقلت: يا شيخ هٰذا كتب عنك سنة كذا وكذا قال: نسيت، فانظر إلىٰ أثر حفظ المقيَّدات من التقييد في حفظ علم العالم، وهكذا مسائل العلم، إذا الإنسان بحث مسألة وحققها وكتبها تبقىٰ الفائدة، أو قيدها تبقىٰ الفائدة أما إذا ما قيدها تضيع هٰذه الفائدة.

الفائدة السادسة والثلاثون:

أهمية حفظ هٰذه المقيدات، الشيخ كتب أوراقا مثلا، ثم بعد ذلك هٰذه الأوراق إذا ما حُفظت تضيع.

ومن ذلك مكتبة أبو النعمان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، فإن هٰذا الرجل ضاع كثير من كتبه بسبب الفقر.

فإن الشيخ عبيد الله لما اضطرته الحال انتقل إلىٰ كشمير قبل ٢٥ سنة، وأبقىٰ مكتبة أبيه وأوراقه في بيتهم وهو بيت طين صغير، فلما جاءه بعد ٢٥ سنة فإذا يد الحَدَثان والدهر والسيول قد ذهبت بكثير من المكتبة، ولكن بقي الآن شيء منها يوجد عندهم ٧ صناديق حديدية من المكتبة، هٰذه السبع صناديق لم يمكن الاطلاع عليها لثقلها ولأنهم يتعبون فيها ولم أرد أن أكلفهم وهم يفتحونها في السنة مرة واحدة لأنها عندهم الأمطار الآن موسم الأمطار، والأمطار تورث الرطوبة فيخرجونها الكتب كل يوم أسبوع واحد في الشهر القادم الميلادي كل يوم يشمسون الكتب، سبعة صناديق، فهٰذه الكتب يقولون الآن بعض الكتب ما نقدر نفتحها، وبعض الكتب دخلتها الأرضة، فلا بد أن تحفظ المقيدات وإلا ضاعت.

من هٰذه المقيدات التي ضاعت هٰذه النصف ورقة يا إخوان، نصف ورقة من هنا ومن هنا هناك رجل اسمه عبد الحكيم النصير أبادي من علماء القرن الماضي رتَّب مسند أحمد كاملا علىٰ أبواب البخاري، فلما انتهىٰ منه دفعه إلىٰ الشيخ عبد القاسم السعيدي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أحد علماء الهند المشهورين وله كتب كثيرة منها «تخريج المشكاة» وكثير طبعت في الهند بعضها وبعضها ما طبعت، عالم كبير، ينسب كثير من الطلبة إليه يقول السعيدي السعيدي؛ شرف الدين الدهلوي السعيدي، وهو أحد كبار تلاميذ شمس الحق العظيم أبادي، قام فشرح هٰذا الكتاب من أوله إلىٰ آخره، شرحه كاملا، وكان محمد عطاء الله حنيف صاحب كتاب «التعليقات السلفية علىٰ سنن النَّسَـٰئِيّ» يقول كما حدثني الشيخ محمد إسرائيل السلفي: شرح الشيخ شرف الدين أعظم وأفضل من شرح الشيخ أحمد شاكر.

الكتاب كمُل وكتب ودفع إلىٰ المطبعة ثم صارت فتنة الهند الانقسام فضاع هٰذا الكتاب، ما أخذت

نسخة ثانية، وجدتُ هٰذه النصف ورقة في وصف الكتاب، قال الشيخ عندي قطعة منه نصف ورقة في «التلخيص الحبير»، هٰذا «التلخيص الحبير» نسخة الشيخ شرف الدين السعيدي آلت إلىٰ الشيخ محمد إسرائيل، قال: جاءت بها أيام الدهر، بقيت هٰذه القطعة محفوظة في الكتاب، وكتب عليها الشيخ: هٰذه قطعة من تبويب مسند الإمام أحمد بخط الشيخ عبد الحكيم نصير أبادي الراجستاني..، كتبه الشيخ محمد إسرائيل السلفي الندوي، باب الأذان قبل الفجر، حدثنا عبد الله، حدثنا أبي، حدثنا عفان حدثنا همام إلىٰ آخره حدثنا فلان حدثنا فلان، ما بقي إلا هٰذه القطعة، من عمل آلاف الصفحات، لماذا؟ لأنه لم تستنسخ نسخة ثانية، فذهب الكتاب.

مثل شيخنا الشيخ السمنودي له منظومة اسمها «لآلئ البيان» شرحها كاملة، وهٰذه المنظومة هي أفضل ما صنَّف المتأخرون في التجويد، بل فاقت مقدمة ابن الجزري، وحسد الشيخ إبراهيم حصل له البلاء ونفي من القاهرة بسبب هٰذه المنظومة التي صارت تقرر في معاهد القراءات، دفع بالنسخة الوحيدة منها إلىٰ أحد الطابعين فضاعت هٰذه النسخة من المطبعة وذهبت.

المسألة السابعة والثلاثون:

وجوب الفرار من العصبية؛ لأن لها أثرا في ضعف الأمة ووهنها، وكما ذكر ابن أبي العز في كتاب الاتباع: أن أشد الناس تعصبا هم الحنفية.

ومن الأمور التي حالت بين الناس وبين الاستفادة من أبي النعمان أنه ابتلي بمنطقة كانت الغلبة فيها للأحناف، وكان الأحناف شديدي التعصب، حتىٰ أنه لما قدم البلدة كان يصلي معهم فكان يرفع يديه ويجعلها علىٰ الصدر، فكانوا إذا صلىٰ غسلوا المكان الذي صلىٰ فيه.

ثم حصلت له فتنة في تلك البلد أرادوا أن يضربوه ومعه هو سبعة من أهل الحديث الذين جاؤوا به من دهلي، وحصلت فتنة عظيمة، ورفعت القضية إلىٰ الإنجليز.

وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، الإنجليز سياسة: أهل الحديث قليل يريدون يغيظون الأحناف حتىٰ يوازنوا في البلد، فأعطوا هٰذا المسجد إلىٰ الشيخ أبو النعمان، جعلوا له الولاية علىٰ هٰذا المسجد أصدروا فيه صك أن هٰذا المسجد يكون القائم فيه الشيخ أبو النعمان.

فتجد أثر التعصب كيف أذهب فائدة الناس من هٰذا الرجل، مع أنه كان له تأثير بعد ذلك عن طريق تلميذه أبي الخير السلفي الذي تزوج من الأحناف وكان حنفيا أصلا، وكان له أثر علىٰ ندوة العلماء إلىٰ

غير ذلك.

مما يذكره الشيخ أيضا من آثار التعصب أن أحد شيوخ والده وهو رشيد الدين الكنكوهي وهو أحد كبار علماء الأحناف في الهند أنه يقول: كان يقرأ عليه أحد التلاميذ في «جامع الترمذي»، فقرأ التلميذ في حديث، فلما قرأ الحديث، قال التلميذ: يا شيخ: هٰذا الحديث خالفه الإمام، يقصد أبو حنيفة، فقال الشيخ رشيد: اقرأ اقرأ، قال: لكن يا شيخ ما وجه مخالفة الإمام لهٰذا الحديث؟ قال: لئن لم تسكت لأضربنك بنعلي هٰذا خمسين ضربة علىٰ رأسك.

شوف التعصب، لم يجد جواب إلا ضرب خمسين نعلا علىٰ رأس التلميذ، ولذلك من أعظم أدواء الأمة وعللها التعصب فيها واتباع الأهواء، فينبغي أن ينأىٰ طالب العلم في العلم بنفسه عن التعصب للأقليات أو القوميات أو الجمعيات أو الحزبيات أو العرقيات؛ لأنها من أعظم ما يُذهب منفعته للناس.

الفائدة الثامنة والثلاثون:

محنة المصارمة بين المسلمين دعاة وعلماء، من آفات المسلمين وعللهم وجود مصارمة بين بعض العلماء وبعض الدعاة مما يعود بالضعف علىٰ الدعوة إلىٰ الله ﷻ، وليس أدل علىٰ ذلك عندما دخلت ندوة العلماء التقيت بأحد كبرائها قال: أنت أين في لكنو؟ قلت في مركز كذا، مركز إسلامي، قال: هناك مركز إسلامي في لكنو؟ قلت: إي نعم، فاستغربت، ندوة العلماء أكبر جامعة إسلامية في لكنو، وهي من أكبر جامعات وأعمل أعمال المناشط الخيرية، كيف يكون ناس هؤلاء العظمة لا يعرفون وجود مركز إسلامي آخر له نشاط في بلدتهم، إلا بسبب وجود حزازات يمكن حلّها.

فمثلا ندوة العلماء بحمد الله في سنواتها الأخيرة بدت تسير قدما إلىٰ تصحيح طريقتها، هم يدرسونهم في العقيدة العقيدة الواسطية، وينبغي دفعهم إلىٰ الأمام عن طريق التعاون معهم في هٰذا الباب، فتجد أن الخلاف قليل رفع اليدين أو وضعها علىٰ الصدر تجد أنه يورث نفرة.

وقس علىٰ هٰذا عندنا الآن مسائل اجتهادية تجد أن يحدث فيها مصارمة أو خلف أو أنه يدفع في الخلف بين العلماء والدعاة وطلبة العلم، يدفع الناس في هٰذا الخلاف، يأتي طالب علم عنده خلاف مع طالب علم ثاني يذكي في نفوسهم هٰذا الخلاف، هٰذا كله من ظلم الشريعة والتعدِّي عليها، إذا كان عندك خلاف بينك وبين طالب علم آخر أو عالم فلا تدخل الناس في أثناء هٰذه الحرب والمعركة.

الفائدة التاسعة والثلاثين:

معرفة نظرة الهنود إلىٰ العرب، والهنود قسمان، الكفار والمسلمين:

فأما الكفار فإنهم ينظرون إليك نظر الحاقد، لأنك تأتي إلىٰ هٰذه البلاد وأنت تعين المسلمين ولو بالعناية المعنوية، يرون عربي جاءهم صار له علاقة بهم فهم يكرهون قدومك كيفما كان؛ لذلك ينبغي أن تتوقاهم وأن تحذرهم وأن تبعد عنهم قدر المستطاع.

أما المسلمون فنظرتهم للعرب نظرة إكبار وإجلال، ولذلك لا يستغرب الإنسان، لأن عندنا بعض الناس الجهال يذهبون إلىٰ تلك المناطق ويرجع الواحد منهم ويفتي، لماذا؟ لأنه عربي دخل هو الذي يتكلم هو الذي يُسأل هو الذي إذا رؤي في مكان وقف له حتىٰ يمر، ويقصد في طلب الدعاء، وتجد مهم الشيء العجيب والإجلال والإكبار الأمر العظيم، وهٰذا مفتاح خير ومفتاح شر:

مفتاح خير إذا كان الإنسان أهلا ويأمن علىٰ نفسه الفتنة.

ومفتاح شر إذا كان الإنسان غير أهل أو لا يأمن علىٰ نفسه الفتنة.

فتجد جاهل يرأَّس ويعظم فيضل به الناس، أما إذا كان الإنسان متأهل ويأمن علىٰ نفسه الفتنة ويتقي الله ﷻ، فإنه يكون له أثره الكبير، ولذلك العرب إذا ارتحلوا ودخلوا بلاد غير عربية يحصل بهم نفع كثير، وينبغي أن ينتبه طالب العلم والداعية إلىٰ هٰذا الأمر، لكن كذلك ينبغي له أن ينتبه إلىٰ قضية أن يعرف قدر نفسه وكذلك أن يحذر علىٰ نفسه الفتنة.

الفائدة الأربعون:

الغنائم كثيرة، لكن من أعظم الغنائم، قد مثل هٰذه الأحاديث والأمور تذهب مع الأيام وينساها حتىٰ المتكلم بها، لكن من أعظم الغنائم إذا اشتغل الإنسان بقراءة العلم وخاصة قراءة الحديث، فإن من أعظم الغنائم مرورك علىٰ أحاديث النبي .

انظر إذا وفقت إلىٰ قراءة الكتب الستة فإنك تمر بالأحاديث المكررة علىٰ قرابة ٣٠ ألف حديث فيها من الصلاة علىٰ النبي ﷺ كم من العدد وتضاعف صلاة الله ﷻ عليك عشر مرات.

وبعض الناس يقول ما فائدة قراءة الحديث فقط بدون شرح؟ وهٰذا من الجهل البالغ، فإن هٰذا أول عمل بالحديث، قيل لأبي حنيفة: إن هناك أناسا يقرؤون الحديث، قال: إن قراءتهم عمل به.

إنك تقرأ الحديث تراجع الحديث اطلاعك عليه ومعرفتك به: عمل، هٰذا أمر.

الأمر الثاني: مرورك علىٰ الحديث يورثك الحفظ حفظ الحديث، يمر عليك في البخاري ومسلم في أبي داود. أيضا تحفظ مكان الحديث، تقول: هٰذا الحديث مر علي في الكتب الستة، وإذا كنت صاحب ذاكرة قوية تقول مر هٰذا في ابن ماجه، هٰذا في أبي داود، فتنتفع بهٰذه الفائدة.

أيضا من الغنائم التي تبقىٰ مع الإنسان استفادته من الكتب، تمر عليك في هٰذه الكتب فوائد كثيرة أذكر منها قبل سنتين الظاهر قالي أحد الإخوان عندنا أحد المشايخ عندنا في الكلية يقول: أن ابن ماجه ما يتكلم علىٰ الحديث، فكنت أقول له: لا، مر علي ابن ماجه تكلم علىٰ أحاديث، ابحثها، وعندما وفق الله لقراءة سنن ابن ماجه، بين العشرة إلىٰ العشرين حديث تكلم عليها ابن ماجه في العلل، يقول: هٰذا حديث غريب تفرد به فلان، هٰذه أكثر عبارته، وهي في النصف الثاني من «سنن ابن ماجه» أكثر من النصف الأول وفيه ما ينقله عن شيخه محمد بن يحيىٰ الذهلي، وكذلك فيها كلام علىٰ غير الأحاديث، و«سنن ابن ماجه»: قل انتفاع الناس بها؛ لأنهم ظنوا أن ابن ماجه جاهل، لأنه أورد أحاديث موضوعة، لكن إذا رأيت كلامه علىٰ العلل عرفت قدر ابن ماجه.

والأمر الآخر: وهٰذه من الفوائد النادرة مر علي حديث واحد بسند واحد في كتاب واحد وهو كتاب الترمذي قال فيه مرة: حسن صحيح وقال فيه مرة: حسن، والنسخ صحيحة موثقة.

أيضا يمر عليك تبويبات لطيفة، وأكثر كتب الحديث إفادة من السنن الأربع في التبويبات هي سنن أبي داود، ولذلك سنن أبي داود كتاب التفقه، وسنن الترمذي كتاب الحديثي والمحدث والعلل والرجال ونحوها، تمر عليك أبواب لطيفة، انظر الفرق بين تبويبين للنسائي يقول: باب إخراج الميت من اللحد بعد أن يوضع فيه، وباب ثاني بعده باب إخراج الميت من القبر بعد أن يوضع فيه، بينهما فرق.

أيضا من تبويباته اللطيفة: باب الرخصة في أن يقال في شهر رمضان: رمضان، وهٰذه المسألة فيها خلاف عند بعض الفقهاء رحمهم الله تعالىٰ.

فتمر عليك في قراءتك لكتب الحديث فوائد كثيرة من التبويبات فضلا عن كونك مثلا تقف علىٰ فوائد علمية.

مثلا من الفوائد في سنن ابن ماجه: نقل عن الشافعي في التفريق بين بول الغلام وبول الجارية، يرش من بول الغلام ويغسل من بول الجارية، لماذا؟ قال الشافعي: لأن الغلام خلق من تراب والجارية خلقت من دم، حواء من أين خلقت؟ من ضلع أعوج من آدم، وهٰذا خلق من تراب، هٰذا وجه لطيف.

وكتب الحديث مشحونة بشيء من هٰذا، إما في التبويبات وإما في التعليقات.

أيضا من أعظم الفوائد التي استفدتها في هٰذه الرحلة: تصحيح الكتب، فالكتب الآن هٰذه الطبعات هذي لا يوثق بها، والطبعات الهندية هي من أصح الطبعات مع تحفة الأشراف.

ومن هٰذه الأشياء التي منّ الله ﷻ بها: طبعة بشار عواد معروف لسنن ابن ماجه التي يقول: إنه قابلها علىٰ مخطوطات وعلىٰ تحفة الأشراف، فكتاب ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ وقفت فيه علىٰ تصحيفات من التصحيفات الشنيعة والسقط الآن، فيه سقط كذلك، يقول في حديث أشعرت يا بلال: أن الصائم تسبح عظامه وتستغفر له الملائكة ما أُكل عنده، عظامه هٰذه: يسبح طعامه، تصحفت إلىٰ عظامه، نسخة طاعتها جميلة ومتقنة، الحين الإخوان يشترون طبعة بشار لأنها متقنة، وأبشع من هٰذا وأنكىٰ: ساق حديث ٣٢٢٠ عن أبي سعد البقال أنه سمع أنس بن مالك يقول: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَهَادَيْنَ الْجَرَادَ، عَلَىٰ الْأَطْبَاقِ. (ص٦١٢/ ج٤) راجعت أنا الزوائد قابلته علىٰ الزوائد الطبعة الهندية فوجدت سقط رجلين (حدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ) يأتي حين واحد من الإخوان يخرج الحديث يقول هٰذا الحديث علقه ابن ماجه.

وأيضا قابلت نسخة فؤاد عبد الباقي والنسخة هٰذه علىٰ «مصباح الزوائد»، فوجدت هناك عدة أحاديث ساقطة من طبعات ابن ماجه المتداولة موجودة في «مصباح الزجاجة» الذي هو الزوائد التي صنفها البوصيري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

فينبغي أن يعتني طالب العلم بتصحيح الكتب كثيرا، الآن أكثر الكتب التي بأيدي الناس ليست صحيحة، الكتب الستة فما دونها، حتىٰ هٰذه المتون المتداولة التي يعتني بها الناس.

تجد مثلا كتاب التوحيد الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ فيه خلاف بين النسخ المطبوعة، والنسخ المطبوعة كثير منها فيه أخطاء حتىٰ في الآيات.

هناك طبعة متداولة صغيرة كتبت في أخطائها قبل سبع سنوات أربع صفحات وأعطيتها الدار وإلىٰ الآن لم تغير، طبعت طبعات كثيرة.

فتجد أن هٰذه الكتب كثير من الشباب يعول عليها، وإذا شاف الطبعة القديمة قال: لا يا رجال قديمة ما تصلح.

احرص علىٰ الطبعات القديمة في كل فن وكل كتاب، بل لا تقف علىٰ هٰذا حتىٰ الطبعات القديمة

حاول أن تصححها، الكتب الستة عندك تحفة الأشراف، دائما قابل علىٰ تحفة الأشراف تجد فيه سقط في السند تجد في سقط في المتن، الآن في أحاديث في سنن أي داود ليست موجودة، موجودة في «تحفة الأشراف»، ومن الفوائد التي وقفت عليها في «سنن أبي داود» قديما ثم منّ الله بطبعة محمد عوامة وأوردها في الحاشية أثر عمر بن عبد العزيز الوارد في «لمعة الاعتقاد» وفيه: فإنهم عن بصر نافذ سكتوا وبعلم تكلموا إلىٰ آخره، هٰذا أخرجه أبو داود في كتاب القدر من «سننه»، وكل الذين خرجوا اللمعة لم يقفوا علىٰ تخريجه مع أنه أحد الكتب الستة.

وأحاديث كثيرة تعزىٰ إلىٰ أبي داود؛ يعزوها مثل الحافظ غيره، بعض الناس يقول: هٰذا ليس في سنن أبي داود، تجده في «تحفة الأشراف»، والسبب أن هٰذه الطبعات طبعات لم تقابل..

كذلك من الفوائد -وهٰذا بحمد الله في القراءة الأولىٰ لأبي داود قديما وجدته ثم في القراءة الثانية: طبعة عوامة: نسخها شريفة، نسخة ابن حجر عنده، لٰـكِـن دخلها هوىٰ، المحقق ذو هوىٰ، فغيّر في سنن أبي داود تبعا لهواه، فنسخة ابن حجر مثلا فيها باب زيارة مسجد النبي ﷺ، فهو قام وكتب في التبويب باب زيارة قبر النبي ﷺ، وكتب في الهامش: هكذا في نسخة عبد الغني النابلسي، خلاف النسخ الأخرىٰ، عبد الغني النابلسي نسخته متأخرة، وأصوله التي اعتمدها ليست معروفة.

ابن حجر قابل علىٰ نسخ وأثبت الفروق بين روايات سنن أبي داود وسند سماعي، عدل عنه لأجل الهوىٰ.

وهٰذا يدعو إلىٰ إعادة تصحيح الكتب كلِّها خاصة الكتب الستة علىٰ أيدي أهل السنة.

والشكوىٰ عز وجل لله أهل السنة عندهم في هٰذا الباب تقصير منذ القِدم، فتجد أن هٰذه كتب الحديث التي هي كتب أهل السنة عمادها تجدها للأسف لم يخدمها كما قال الخوري وغيره: لم يخدم كتب الحديث أحد كما خدمها الهنود.

العرب عندهم المال، لكن ما عندهم سبحان الله العزيمة ولا عندهم التوفيق إلىٰ خدمة مثل هٰذه الكتب العظيمة، مثل «مسند أحمد» هٰذا الذي خرج طبعة الأرناؤوط والأرناؤوط صاحب هوىٰ؛ الثقة بها ينبغي أن تكون ضعيفة، لأنها لم تخرج بأيدي أهل السنة، هٰذا شيء.

الشيء الثاني أن هناك نسخ شريفة لـ«مسند أحمد» ما اعتمدها القوم منها نسخة العالم الكبير الذي هو أمير المؤمنين في الحديث من شيوخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عبد الله بن سالم أو علىٰ خلاف في

هٰذا، عبد الله بن سالم البصري هٰذا لم يخدم كتب الحديث أحد مثل عبد الله بن سالم البصري، فإنه قابل كتب الحديث، يقال: قابل كل الكتب علىٰ النسخ الخطية وأثبت الفروقات، وله حاشية علىٰ «تقريب التهذيب» هي أفضل الحواشي، وهناك نسخته في البخاري النسخة التي طبعوها الآن اليونينية صوروها، هذي أصلا اعتمدوا نسخة عبد الله بن سالم، نسخة سنن أبي داود التي من أفضلها عند عوامة نسخة عبد الله بن سالم، نسخة «مسند أحمد» نسخة عبد الله بن سالم موجودة ثلثين منها في دار الكتب المصرية، ويوجد نسخة لأحد تلاميذه خليل الأحسائي استنسخها من نسخة شيخه، وكانت عنده «تحفة الأشراف» الموجودة لا تساوي شيئا، عبد الصمد شرف الدين ولا بشار عواد؛ لأن المزي بقيت تحت يده نسخته يزيد فيها وينقص منها حتىٰ مات.

وهٰذه النسخ التي اعتمدوها نسخة ابن المهندس نسخ متقدمة، ولذلك يوجد في حواشي عبد الله بن سالم علىٰ «التقريب» وعلىٰ البخاري أشياء نقلها من «تحفة الأشراف» ليست في «تحفة الأشراف» التي بأيدينا، لأنه كانت عنده نسخة المزي الأخيرة وهٰذه النسخة .. «تحفة الأشراف» موجودة إما في مكتبات المدينة أو في مكتبات مكة أو في مكتبات القاهرة، وبالذات دار الكتب المصرية ، مكتبة الملك عبد العزيز والمكتبة المحمودية فيها، ومكتبة الحرم المكي، فإن كثيرا من كتب هٰذا الرجل قد آلت إليها. فالذي عنده عزيمة يحث عنها في هٰذه.

فهٰذه أربعون فائدة من فوائد الرحلة، نسأل الله العلي العظيم أن ينفعنا وإياكم . وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن ينفعنا بما علمنا وأن يجعله حجة لنا ولكم ولا يجعله حجة علينا وأن يتولانا في الصالحين، وأن يجعلنا من عباده المخلصين، والحمد لله رب العالمين.